إيران وأمريكا ولعبة الانتخابات العراقية!

29-10-2004

ومن هنا، يتبين أن الولايات المتحدة تتوقع فرض اختياراتها على العراقيين، بينما تأمل إيران، في المقابل، فرض أولوياتها على العراق باستخدام حلقات اتصال دينية وثقافية تاريخية.

من الواضح أن إيران والولايات المتحدة يتنافسان بشدة لـ"إلحاق" العراق بطموحاتهما وجعله جزءا مكملا لتوجهاتهما المستقبلية ومناطق نفوذهما.
ومن المتوقع أن يكثف الطرفان، قبل انتخابات يناير إن أُجريت، محاولاتهما لضمان تنصيب إما حكومة عراقية مؤيدة لواشنطن أو نظام موال لإيران، ولكن يبقى الطرف الأساس في هذه اللعبة السياسية هو الشعب العراقي، الذي يبدو أنه يتعرض لتجاهل سافر من قبل واشنطن وطهران، حيث يدعي كل منهما أن له طريقته الخاصة في التعامل مع الملف العراقي.
في لعبة القوة التي تُلعب في منطقة الشرق الأوسط، فإن الأقوى لا يظهر بالضرورة كمنتصر. ومن ثمة، فإن حدود القوة العسكرية تتضح شيئا فشيئا عندما يفحص أحدنا حقيقة أن الولايات المتحدة غرقت في المستنقع العراقي فور تفكيك نظام صدام حسين. الآن يمكن للقوات الأمريكية أن تقصف المدن وتصيرها إلى أنقاض، لكن تحدي المقاومة والمتعاطفين مع خيار المواجهة يزداد يوما بعد يوم، ومن المستبعد أن يتم اختراقه أو تخطيه. حيث إن المقاومة العراقية تدرك أنه طالما يمكنها أن تتحمل عبء الخسائر البشرية، فإن الحمولة الأمريكية ستبقى على الأرض ضعيفة التأثير، وهذا لأن استيعابها للخسائر البشرية محدود إلى حد ما، وهذا أحد أبرز الرهانات التي تعتمد عليها المقاومة في معاركها في كل من الفلوجة وسامراء.
ويبدو أن شغل إدارة بوش في الفترة الحالية منصب على ضمان وجود قواتها لأطول فترة ممكنة وتأمين نفوذها من المخاطر والتهديدات المحلية، حيث إن الغرض الأساس للاحتلال الأمريكي هو ضمان ولاء بغداد لواشنطن، إذ تدرك واشنطن مدى أهمية العراقية الحيوية والإستراتيجية لإبقاء سيطرتها على المنطقة ولضمان الأمن القومي للكيان العبري.
وتواجه الولايات المتحدة حاليا عقبة ليست بالهينة، وهو الشلل الذي أصاب العاصمة واشنطن بسبب الخلافات القوية بين وزارة الخارجية، المسئولة الآن عن سياسات العراق المتعلقة بالاحتلال، ووزارة الدفاع، التي اعتادت أن تكون مسئولة عن مثل هذه الأوضاع. وقد خصصت إدارة بوش 40 مليون دولار لمساعدة الأحزاب السياسية العراقية في عملية الحشد والتعبئة!. ويبدو أن الغرض الغامض لصندوق الدعم هو التصدي لدعم إيران لحلفائها الشيعة في السباق الحالي للتأثير على نتيجة الانتخابات القادمة في يناير.

وحالة الشلل نفسها أصابت أيضا سياسة أمريكا بخصوص إيران. وما يجعل إدارة بوش متوترة إلى حد ما هو حقيقة أن إيران تسند وتدعم أيضا بمواردها الخاصة الأحزاب الدينية الشيعية المنظمة، إذ تبقى إيران مركزة على هذه المجموعات الدينية كالمجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة الإسلامي وجيش المهدي التابع لمقتدى الصدر.
ومن جانبها، تتبع الولايات المتحدة النهج نفسه، لكنها إستراتيجية من مستويين: المستوى الأول لهذه الإستراتيجية هو تزويد اعتمادات للأحزاب العلمانية، بالرغم من أن الدعم الأمريكي متاح لكل الأطراف العراقية. المستوى الثاني للإستراتيجية الأمريكية هو إيجاد منتدى عراقي متعدد الأطراف في منتصف نوفمبر، لكنه موال، في مجموعه، لسياسات واشنطن. وغرض هذا المنتدى هو تجميع جيران العراق سواء على مستوى جامعة الدول العربية، مجلس التعاون الخليجي ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وتطبيع الوضع الجغرافي السياسي الناشئ.
ووفق المنظور الأمريكي، سيعتمد هذا المنتدى خطة متعددة الأطراف لعراق "ديمقراطي" علماني، مع الأمل في أن منظمة المؤتمر الإسلامي، مجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية ستؤيد مثل هذا التحرك. والهدف من وراء تضمين إيران في هذا المنتدى هو "تدريبه وتعليمه كيف يكون جارا مسئولا"!، ومن ثمة إقناع إيران بأن تسمح بظهور عراق "ديمقراطي" علماني بعيدا عن أي "تشويش" من دول الجوار.
وترى الدول الغربية في هذا التحرك محاولة غامضة وغير دقيقة، ولا تعدو مناورة لإضفاء الشرعية على استمرار أمريكا لاحتلالها.
وفيما يبدو، فإن الخطة الأمريكية السابقة اعتمدت من طرف وزارة الخارجية، ولكن، كأي خطة أخرى تبنتها وزارة الدفاع الأمريكية، تتجاهل الحقائق الإقليمية وتحاول القفز عليها. كما أنه لا أحد، في واشنطن، مهتم بالمسائل الأساسية التالية: لماذا يجب على إيران أن تساعد الولايات المتحدة في "إلحاق" العراق بالمسار الأمريكي، في الوقت الذي تعارض إيران مثل هذا الهدف بشدة، وتعمل على رؤية عراق على شاكلتها؟ لماذا تعتبر واشنطن أهدافها نحو العراق "غاية في الأهمية" لدرجة أن كل الدول المجاورة ملزمة بتجاهل مصالحها الوطنية والتصرف بشكل مسئول؟.
لا أحد مطلع على عمق العلاقات بين العراق وإيران الدينية والثقافية التاريخية سيقر مثل هذا الهدف ويتوقع من إيران أن تتعاون، خاصة وأن إيران أيضا تريد وتعمل على جعل العراق خادما لها في المستقبل.
ومن هنا، يتبين أن الولايات المتحدة تتوقع فرض اختياراتها على العراقيين، أولا: من خلال الغزو العسكري، ثم باستخدام منتدى متعدد الأطراف لإضفاء الشرعية على احتلالها الطويل الأجل، وحتى على شكل قواعد عسكرية دائمة. بينما تأمل إيران، في المقابل،, فرض أولوياتها على العراق باستخدام حلقات اتصال دينية وثقافية تاريخية.
ومن المؤكد أن العراقيين، بالرغم من اختلافاتهم المذهبية والعرقية، قد أظهروا حتى الآن أنه من المستبعد أن يكون العراق تابعا لواشنطن ولا لطهران..